حـــــول مصطلـــــح "المعرفيـــــة"

www.arabpsynet.com/Documents/DocShahidiAboutCognitiveTerm.pdf

د. إدريس عبد السلام شاهدي الوزاني
الطب النفسي
المغرب / السعودية - المدينة المنورة
driss.chahdi@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم
و صل اللهم على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم

الإخوة الأعزاء أعضاء الشبكة
السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته

تعقيبا على ما ورد أخيرا على الشبكة حول المفهوم العلمي التجريبي أود أن أذكّر الزملاء الأعزاء **بمقالة الأستاذ الرخاوي** حول **"التجريبي"** و **"الخبراتي"** و الذي كان قد وضح فيه بأن **ميدان العلاج النفسي خبراتي و ليس تجريبي بالمفهوم المتعارف عليه**، و الإنسان متفرد في هذا الكون، و لا يستطيع أن يعيد نفس التجربة الشخصية مرتين دون أدنى اختلاف بينهما، و هذا الذي يميز الإنسان فعلا في هذا الكون ، و البناء يكون باعتماد اللبنات الصلبة و المقنعة كهذه، و إلا فنحن ندور في دوائر مفرغة...

بعد هذا التعقيب البسيط أعود لأقول بأن زمن الخوض في الأساسيات ربما قد تجاوزناه، و تعرف كل منا على مواقع خطاه، فلنخرج من التلميح و العموميات إلى الشرح و التوضيح كما صرح قبلي **الأستاذ ابراهيم رجب** حين أجاد في طرحه للطبيعة البشرية، و كما حلق **الأستاذ السامرائي** في مقالته حول **"الأطوار الثلاثة للنفس"** و نهله من المعطيات القرآنية، و أنا بدوري إذا سمح الزملاء الأعزاء أبدأ بمقدمة في التوضيح تخص مصطلحا شائعا في أيامنا هذه ، إذا لم توضح معالمه جيدا أخشى أن يحدث خلط في الفهم و خصوصا في المقاصد و الأهداف..

أن الدين من منظور إسلامي هو مسيرة معرفية ارتقائية، و ليس عبادة جامدة أو

هناك مصطلحات مشتركة تستعملها معظم الاتجاهات النفسية، في حين أن لها خصوصيات عند بعضها، من هذه المصطلحات مصطلح "**المعرفية**" **cognition** "، والمنظور الإسلامي يستعمل أيضا ما يطلق عليه "**الجوانب المعرفية**" فيما يخص المقومات الإنسانية، إضافة لغيره من الجوانب التي تحتوي عليها الحقيقة الإنسانية، و في هذه الورقة أريد أن أوضح حقيقتين:

الأولى: **أن الدين من منظور إسلامي هو مسيرة معرفية ارتقائية، و ليس عبادة جامدة أو ترديدا لشعائر تتشابه كل يوم**، و من رأى غير ذلك فهذا راجع لتصوره الشخصي عن مفهوم الدين عموما...

الثانية: أن مصطلح "المعرفية" من هذا المنظور ينقسم إلى ثلاثة محاور:

- **المحور الأول:** و هو كل ما يتعلق **بالطاقة الإدراكية الاستيعابية** مما تلتقطه الحواس من العالم الخارجي
- **المحور الثاني:** يطلق على **القدرة التجريدية و الفهم المجازي و استنباط الأحكام** من نظائرها الموجودة و من السوابق المتوفرة و كذا فقه النوازل...
- **المحور الثالث:** يطلق على **القدرة على التحليق في عالم لا ينتمي للعالم المحسوس**، و أحيانا يعجز العقل بحدوده المعروفة على الإحاطة به أو سبر غوره، و مع ذلك نحس بأن نوعا من الإدراك اللطيف يتجاوز العوالم المتعارف عليها التقليدية من محسوس و معقول موجود بالفعل، نحس بوجوده و لا نستطيع التعبير عنه لفرط لطافته، و لأن إدراكه يتطلب درجة من التجريد تفوق بمراحل كثيرة درجة التجريد العادية التي نستعملها عادة في موضوع الاستنباط و الاستنتاج و المقارنة و مثيلاتها، يدخل في هذا العالم موضوع الإيمان عموما، و الإيمان بالغيب على وجه الخصوص..

فالإيمان هو اعتقاد راسخ لا يتطرق إليه شك في موضوع ما، و الناس ينقسمون في الاعتقاد هذا إلى مؤمنين و غير مؤمنين و شاكين أو مترددين، و كلها "**مواقف معرفية**" تنتهي بالشخص إلى اتخاذ "**مواقف سلوكية**"، و بالنسبة للإيمان بالغيب فهو إيمان بمضمونه..

من هذه الزاوية يتبين أن موضوع الإيمان ليس كما يُعرّفُه البعض حالة سلبية من الاعتقاد الراكد غير العقلاني أو غير المتنور أو غير المتفاعل مع السلوك، و الشخص في الحقيقة بالخيار: " **لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي**" (البقرة)، فهو حين يختار الدخول في زمرة المؤمنين يصدق بمضمون هذا الإيمان، تماما كالمؤمن بتناسخ الأرواح الذي يرى أرواح بشر غابرين حالة في القطط و الكلاب مثلا، و الذي لا يؤمن بوجود

ترديدا لشعائر تتشابه كل يوم

موضوع الإيمان ليس كما يُعرّفُه البعض حالة سلبية من الاعتقاد الراكد غير العقلاني أو غير المتنور أو غير المتفاعل مع السلوك

الإيمان عموما يطرح قضايا جوهرية مثل قضية الموت و الحياة و مصير الإنسان بعد الموت، و موضوع الخير و الشر و غيرها ، و كلها لها انعكاسات سلوكية

موضوع الإيمان أي الاعتقاد في شيء ما هو منطلق سلوك أي شخص في هذه الحياة...

خالق لهذا الكون و يؤمن بالعدم يجب أن يُسأل عن الحقائق التي تشكل هدفا لوجوده، الحقائق لا الأماني و لا التحليقات الفلسفية الافتراضية، أي الاعتقادات لديه التي لا يتطرق إليها شك بالنسبة إليه، و الإيمان عموما يطرح قضايا جوهرية مثل قضية الموت و الحياة و مصير الإنسان بعد الموت، و موضوع الخير و الشر و غيرها ، و كلها لها انعكاسات سلوكية، و كل ممارس للعلاج النفسي صادفته هذه التساؤلات من قبل مرضاه النفسيين، بل و أحيانا تشكل صلب الأزمة النفسية لدى بعضهم ، ولو دققنا في التحليل لتوصلنا في نهاية المطاف إلى أن موضوع الإيمان أي الاعتقاد في شيء ما هو منطلق سلوك أي شخص في هذه الحياة...

هذه بعض الإشارات عن مفهوم "المعرفية" من المنظور الإسلامي و التي تنطلق مما تلتقطه الحواس من العالم الخارجي، مرورا بالقدرة التجريدية و ما يتبعها من قدرة استنتاجية و استنباطية و فقه للنوازل، إلى أن تصل إلى مستويات لطيفة من الإدراك، و هي التي تشكل حقيقة الإنسان أي ذاته العارفة و المسؤولة و المخاطبة بالأمانة: " **إنا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا..**"

هذا الإدراك اللطيف يشمل الإنسان العادي، و مصطلح الإنسان العادي نفسه يحتاج لتوضيح، و يشمل كذلك الإنسان المنعوت بالفصامي، و هو الذي جال في عوالمه و حلق أستاذنا الرخاوي (الذي أرى لزاما على كل ممتهن لمهنة العلاج النفسي أن يطلع عليها و يتعمق في مدلولها) و هي من جملة مفهوم المعرفية الذي هو بحر عميق من الصعب حصر خصائصه في جمل و عبارات، بل لا أبالغ إذا قلت بأنه المصطلح الذي به يشرف هذا الإنسان و تظهر قيمته الفعلية، و يعجز القلم أحيانا على التعليق على مواضيع أستاذنا الرخاوي لعمقها و تفردها في الطرح و لغزارتها، و لأنه أحيانا يضعنا أمام معضلات ابستمولوجية و تحديات معرفية حين يقول مثلا عن الفصام أننا نستعمل لفظا لم يعد له مضمون محدد، و قوله :"**لا يوجد إنسان إلا وهو مشروع فصامي بشكل أو بآخر**" و قوله: " **كل الأمراض النفسية – باستثناء الخلل العضوى التشريحى المباشر – هى محاولة لمنع غلبة فظهور هذا التفسخ فالتحلل فالضمور فالفناء المسمى مؤقتا بهذا الاسم (الفصام)**، ويمكن ترتيب الأمراض بناء على ذلك ترتيبيا تنازليا، من أول العصاب واضطراب

يعجز القلم أحيانا على التعليق على مواضيع أستاذنا الرخاوي لعمقها و تفردها في الطرح و لغزارتها، و لأنه أحيانا يضعنا أمام معضلات ابستمولوجية و تحديات معرفية

"لا يوجد إنسان إلا وهو مشروع فصامي بشكل أو بآخر

كل الأمراض النفسية – باستثناء الخلل العضوى التشريحى المباشر- هى محاولة لمنع غلبة فظهور هذا التفسخ فالتحلل فالضمور فالفناء المسمى مؤقتا بهذا الاسم (الفصام

الشخصية على السطح حتى حالات البارانويا المنظومية التى تخفى التفسخ وتحل محله، مرورا بالسماح النوْبى بتفسخ نشط دورى أحيانا مثل الهوس، وأيضا مرورا بمبالغة فى ضبط غطائى كابت مثل الانهباط (الاكتئاب) حتى نصل فى قاعدة المنظومة إلى التفسخ فالضمور.

بداية **الفصام هى بداية الإبداع، ثم يختلف المسار إما إلى إعادة التشكيل أو التمادى فهو الإبداع، وإما إلى التفسخ حتى التناثر فالتحلل فهو الفصام الذى يصبح عكس الابداع تماما**".

ومع اعترافنا بخصوصيات طرحه و عمقه لا يسعنا إلا انتقاء جانب معين من جوانب طروحاته، و قد اخترت فيما يخصني موضوع "**مصطلح المعرفية**" أطرح هذا التعريف للنقاش، ثم نسعى جاهدين مع "**المدرســـــــــــــة الرخاويـــــــــــــــة**" للغوص في موضوع الإدراك و الوعي ،تعلق الأمر بمن نسميهم مرضى و مجانين، أو من نطلق عليهم أسوياء وعاديين، أو من ارتقوا إلى صف المبدعين و المتألقين، و على الله قصد السبيل.

المدينة المنورة
25رجب 1433 الموافق15-6-2012

بداية الفصام هى بداية الإبداع، ثم يختلف المسار إما إلى إعادة التشكيل أو التمادى فهو الإبداع، وإما إلى التفسخ حتى التناثر فالتحلل فهو الفصام الذى يصبح عكس الابداع تماما."

"مراسلات الشبكة" على الفايس بوك
http://www.facebook.com/Arabpsynet

**** ****

مساهمة "شبكة العلوم النفسية العربية" في تيسير:

خدمات الرعاية النفسية لضحايا الصدمة النفسية

المجلة العربية للعلوم النفسية

المجلد الثالث - العدد 12 – خريف 2006

" إضطرابات الشدة التالية للصدمة من منظور عربي" (الجزء الاول)

eJournal Index APN
www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm